

ربيعة بهلول - جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله

تكوين الكيان الجزائري وتولي خيرالدين

باشا أميرا عليه.

1- أوضاع المغرب الأوسط⁽¹⁾ قبيل وصول الإخوة أبناء يعقوب:

أعقب سقوط الدولة الموحدية صراعات حادة بين الدول المغاربية، وكانت الجزائر الأكثر تضررا منها عكس كل من تونس والمغرب الأقصى، وذلك بحكم موقعها الجغرافي. وكانت دولة بني زيان تسيطر نظريا على القسم الغربي من الجزائر، وظلت عرضة لغزوات بني مرين في المغرب الأقصى، وبني حفص في تونس، هذا ما أدى إلى انتشار الضعف في دولة بني زيان وبني حفص في تونس.

كما أن الروابط القبلية التي كانت لا تزال تطبع المجتمع المغاربي قد أدت إلى انفصال العديد من القبائل، وظهرت إمارات رفضت الخضوع لأية سلطة مركزية، فعرف المغرب في هذه الفترة فوضى اجتماعية، وتفكك سياسي، وصراعات قبلية⁽²⁾.

فمن خلال هذا الوضع المتردي يمكن أن نستخلص أن الصراع داخل العرش الزياني في تلك الفترة، كان سببا في كل التطورات التي سوف تعرفها الجزائر خلال أواخر القرن الخامس عشر ميلادي، وبداية

القرن السادس عشر ميلادي، وهذه التحولات عرفها المغرب الأوسط بصفة خاصة والحوض الغربي للمتوسط بصفة عامة. وتتمثل مظاهر الضعف في منطقة المغرب الأوسط في تقلص مناطق سيطرة الدولة الزيانية، حيث احتفظت بمدينة تلمسان والمناطق المجاورة القريبة منها.

فالدولة الحفصية في تونس استغلت تفكك تلك القبائل والصراعات الداخلية في المغرب الأوسط، وسعت إلى توسيع نفوها في الجهة الشرقية، خاصة في قسنطينة وبجاية وامتد نفوها حتى غرب الجزائر⁽³⁾.

أما الدولة المرينية في المغرب الأقصى، فقد خضعت لها مملكة تلمسان، وتمكنوا من احتلالها عشرات المرات، وأيضا سيطروا على أغلب المناطق القريبة من الدولة الزيانية. وكان لهم دور كذلك في تحريض بعض القبائل لإحداث الصراعات الداخلية للأسرة الزيانية⁽⁴⁾. وفي ظل هذه الظروف المتردية وعدم قدرة السكان على تنظيم مقاومة حقيقية تمكن الإسبان من الاستيلاء على عدة مدن ساحلية⁽⁵⁾.

2- سقوط غرناطة وانعكاساته على المغرب الأوسط:

يعتبر سقوط غرناطة سنة 1492م، إذانا بنهاية الوجود الإسلامي في إسبانيا، وهذا بعد سلسلة من حروب الإسترداد التي قادتها الممالك المسيحية الإسبانية ضد الوجود الإسلامي في إسبانيا، وحتى في سواحل شمال إفريقيا⁽⁶⁾، فقد انتهت دولة الإسلام في الأندلس وفر منها المسلمون إلى سواحل شمال إفريقيا، ولاحقهم الغزاة الأوروبيون، حيث لم تبق منطقة لم يمسه الغزو من أقصى السواحل الغربية في المحيط

الأطلسي في المغرب الأقصى إلى السواحل التونسية، ولم يستطع المقاومون من السكان المحليين صدّها⁽⁷⁾.

قد ازدادت عمليات القرصنة في البحر المتوسط خلال هذه الفترة، وهو ما تسبب في صدام المسيحيين بالعثمانيين، حيث ارتبط هذا الوضع بظهور الأتراك العثمانيين في البحر وتقدمهم نحو سواحل إسبانيا الشرقية، والجنوب شرقية وكذا سواحل شرق إفريقيا⁽⁸⁾.

ففي الوقت الذي اشتدت فيه الهجمات الإسبانية على سواحل المغرب الإسلامي بصفة عامة والسواحل الجزائرية بصفة خاصة، مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلاديفي ملاحقة المسلمين الفارين من الاندلس⁽⁹⁾، ظهر على الساحل بحارة عثمانيين اشتهرت انتصاراتهم البحرية على المسيحية والقرصنة الأوروبيين عند سكان شمال إفريقيا. وهؤلاء البحارة هم أبناء يعقوب الذين سوف يلعبون دورا فعّالا ومهما في المستقبل، خاصة في ربط شمال إفريقيا بالدولة العثمانية⁽¹⁰⁾.

بعد انهيار الدولة الموحدية ظهرت إمارات في الشمال الإفريقي، بنو مرين في المغرب الأقصى وبنو حفص في تونس وبنو زيان في الجزائر⁽¹¹⁾. وكان لضعف دولة بني زيان تأثير كبير على الجزائر، فانقسمت على نفسها إلى إمارات مفككة⁽¹²⁾، ومتناحرة طيلة قرن من الزمن من بداية القرن 15م حتى بداية القرن 16م⁽¹³⁾، وشجعت هذه الحالة الإسبان على الاندفاع نحو مدنها الساحلية، حيث استولوا على المرسى الكبير سنة 1505م، ووهران 1509م، وبجاية 1510م، وغيرها من المناطق، كما هدموا قصر اللؤلؤة الذي يعتبر من أعظم آيات فن

المعمار الجزائري الجميل، وحطموا قصر الكوكب وجامع الأعظم، وفي العام نفسه استولى الإسبان على طرابلس⁽¹⁴⁾. وهكذا اضطرت بعض الموانئ مثل تنس ودلس وشرشال ومستغانم إلى قبول الخضوع للسيادة الإسبانية ودفعت الجزية⁽¹⁵⁾.

وهكذا خلال بضع سنوات، سيطر الإسبان على النقاط الرئيسية من سواحل المغرب الأوسط. وكان بإمكانهم الاعتماد عليها للسيطرة على المغرب الأوسط كله، مستغلين حالة الضعف والتمزق السائدة فيه، ولكنهم لم يفعلوا، وظل احتلالهم احتلالا ناقصا مقصورا على السواحل⁽¹⁶⁾.

وكان البحر المتوسط في تلك الفترة مسرحا لانتصارات مدوية أحرزها أبناء يعقوب⁽¹⁷⁾، عروج وخيرالدين، وإسحاق، فابتداء من عام 1512م⁽¹⁸⁾، بدأ نجم الإخوة يخترق الآفاق، حيث جاء عروج إلى تونس وتمركز في جزيرة جربة⁽¹⁹⁾، كما عقد عروج اتفاقا مع السلطان الحفصي محمد بن الحسن عندما منحه جزيرة جربة، ليتخذها قاعدة لأسطوله مقابل مشاركة السلطان الحفصي بخمس الغنائم⁽²⁰⁾. وبين عام (1504-1510م) حصل عروج على سمعة عظيمة بسبب جرأته ونقله عدد كبير من الأندلسيين إلى شمال إفريقيا، فكثر أتباعه وزاد عدد قطع أسطوله بفضل الغنائم الكثيرة التي حصل عليها من غاراته⁽²¹⁾.

لفت عروج بجرأته وقوة أسطوله أنظار سكان الموانئ الجزائرية المحتلة أو المهتدة، وهذا ما جعل حاكم بجاية وعلماؤها وأعيانها يستجدون به في عام 1512م ليساعدهم في تحرير بجاية من الإسبان⁽²²⁾.

3- المد العثماني إلى شمال إفريقيا:

لبي عروج الدعوة، فحاصر بأسطوله بجاية بحرا، بينما كان حاكم بجاية يحاصرها من البر، بمساعدة عدد من رجال عروج. لكن الحصار فشل وبترت ذراع عروج خلال هذا الحصار، فاضطر أخوه خيرالدين إلى إعادته إلى تونس. وفي عام 1514م أعاد عروج الكرة وحاصر بجاية، ولكن سوء الأحوال الجوية، ووصول أسطول إسباني، وبدء موسم البذار ورجوع رجال القبائل إلى حقولهم تاركين ميدان المعركة دفع عروج إلى فك الحصار، وعضو تحرير بجاية أخذ جيجل قاعدة له بدلا من جربة⁽²³⁾. أتاحت الإقامة في جيجل لعروج الفرصة ليتطلع على أوضاع المغرب الأوسط، وبدأ يمد القبائل المجاورة لجيجل التي كانت تعاني المجاعة بالحبوب فحصل على شعبية كبيرة من القبائل. وفي سنة 1516م، خلق موت فرديناند ملك إسبانيا موقفا جديدا في المغرب الأوسط، واضطرب وضع المراكز الإسبانية⁽²⁴⁾، وبدأ سكان الموانئ الخاضعة للنفوذ، الإسباني يفكرون بأن الفرصة قد حانت للتحرر من النفوذ الإسباني فسارع أهل مدينة الجزائر بواسطة رئيسهم سالم التومي إلى الاستتجاد بعروج⁽²⁵⁾.

وقد خاطب الوفد عروج بهذه الكلمات "... سمعنا أنكم أناس تحبون الجهاد وأخذتم بجاية وجيجل من أيدي النصارى، ونصرتم الدين، فهنيئا لكم أيها المجاهدون، لا بد أن تقدموا إلينا وتخلصون من أيدي هؤلاء الملاحين الكفرة لأننا في محنة عظيمة ومنة شديدة..."⁽²⁶⁾.

فأسرع عروج، وسيطر سنة 1516م على العاصمة رغم هجوم إسباني قوي وخاطفلاسترجاعها. وكان عروج وإخوته بعد استقرارهم في مدينة جيجل اهتموا بأمر المسلمين المضطهدين بالأندلس، فأخذوا يترددون بأسطولهم على شواطئ الأندلس وينقلون المهاجرين إلى شمال إفريقيا⁽²⁷⁾. وفي تلك الأثناء كان عروج قد بايعه سكان جيجل أميرا عليهم، نظرا للنجاحات التي حققها⁽²⁸⁾. وهكذا تمكن عروج من إنشاء جيش متعلم دربه على استعمال الأسلحة الجديدة، كما أمر ببناء مرتفع فوق التل الذي يهيمن على بجاية ورفع المدافع إليه ليضرب الأسوار مباشرة⁽²⁹⁾، وقرر مهاجمة المدينة هجمة عامة، ولكن نفاذ الذخيرة وامتناع الأمير الحفصي بتونس عن تقديم العون له اضطر إلى الانسحاب منها بعد أسر 600 أمير من الإسبان⁽³⁰⁾، حيث قال المؤرخ ابن أبي الضياف "وضيق عليها الحصار، ولما أشرف على الفتح نفذ ما عنده من البارود، فكاتب السلطان الحفصي في تونس وهو محمد بن الحسن يستمد منه البارود، فتغافل عنه خوفا على ملكه المشرف على الانقراض، والتقدير وراء التدبير". ومن حسن حظ عروج وإخوته في هذه الفترة أن السلطان العثماني بعث لهم مساعدات تشمل 14 سفينة محملة برجال أشداء، مع كميات من الأسلحة والذخائر. وقد جاءت هذه الهدية في الوقت المناسب⁽³¹⁾.

وكان قبول عروج الدعوة لمساعدة سكان مدينة الجزائر، هو تنفيذ لرغبته الشديدة في تحرير المسلمين، وكذا إحساسه بالمسؤولية تجاه إخوته المسلمين الذين يعانون من قهر النصارى⁽³²⁾. وقد ذكر هايدو بشأن هذه الاستجابة لعروج في تلبية الدعوة لنجدة سكان مدينة الجزائر

حيث يقول: "...وكما وعد وفى، ذلك لأن الميزة الرئيسية لهذا الرجل هي ثمرة طبيعية لنفسه الكبيرة" ونعني بثمره طبيعته في نفسه الكبيرة انتمائه الديني⁽³³⁾.

جهز عروج حملة عسكرية كبيرة لتحرير مدينة الجزائر كان قوامها حوالي ستة عشر سفينة مجهزة بالمدفعية والذخيرة، وأرسل معها نصف جيشه من جهة البحر بقيادة خير الدين، واتجه هو والنصف الثاني من جهة البر⁽³⁴⁾. وقد عدد جيشه بثمانمائة جندي، وفي الطريق انضم إليه عدد من القبائل، وتمكن من دخول مدينة شرشال دون مقاومة. فتخلص من قارة حسن، وترك بالمدينة حامية تركية لحراستها ثم عاد إلى مدينة الجزائر، حيث استقبله أهلها استقبال الفاتحين⁽³⁵⁾. وأول إجراء قام به عروج، هو القيام بمهاجمة قلعة البنيون، فقام بقصفها بالمدفعية لمدة عشرين يوما، لكن دون جدوى واستعصت عليه بسبب ضعف مدفعيته، وقوة تحصين القلعة، لذلك قرر تأجيل أمر تحرير هذه القلعة إلى وقت مناسب⁽³⁶⁾.

بعد دخول عروج مدينة شرشال وقتل قارة حسن، رجع إلى مدينة الجزائر، حيث اجتمع زعمائها وأصحاب الرأي فيها، وبايعوه أميرا للجهاد. وكان ذلك أبرز أحداث مدينة الجزائر سنة 1516م، فأثار ذلك حقد سالم التومي وأتباعه الذين كانوا يحتفظون بالسلطة في المدينة، فحاولوا التصدي ضده⁽³⁷⁾. لكن عروج فطن لهذه المؤامرة وعمل على إعادة سالم التومي إلى مدينة الجزائر، مظهرا الولاء ثم قام بشنقه بقماش عمامته وهو في الحمام لما كان يتأهب لأداء صلاة الظهر، وروج عروج

لكلمة فحواها أن سالم التومي مات مختنقا في حمامه، وقبل سكان مدينة الجزائر تلك الوضعية دون معارضة⁽³⁸⁾.

ثم تابع توسعه، فاستولى على مدينة مليانة والمدية وتنس، وتوجه نحو تلمسان⁽³⁹⁾. بعد ذلك حضر إليه وفد من تلمسان شاكين له الأوضاع السيئة في بلادهم وتهديد الإسبان باحتلال المدينة بسبب اختلاف أمراء بني زيان على السلطة⁽⁴⁰⁾. وقام أبو حمو الثالث بالاستيلاء على السلطة في تلمسان بالقوة، بعد أن طرد منه ابن أخيه أبا زيان الثالث، ووضعه في السجن، ولم يتفق بهذا فعلم على موالاة الإسبان والتعاون معهم، وقبول حمايتهم، مما شجعهم على التدخل في الشؤون الداخلية للبلاد⁽⁴¹⁾.

واتجه عروج إلى تلمسان تاركا أخاه خيرالدين على مدينة الجزائر، وفي طريقه إلى تلمسان مر على قلعة بني راشد قرب معسكر ووضع بها حامية تركية تتكون من 500 جندي تحت قيادة أخيه إسحاق، لتحمي ظهره من غدر إسبان وهران، والمتحالفين معهم ممن باعوا ذممهم وضمائرهم⁽⁴²⁾.

استطاع عروج أن يطيح بملك تلمسان الموالي للإسبان أبي حمو الثالث، وأعاد أبا زيان إلى عرشهم جديد، لكن سرعان ما عادت الفتن والمؤامرات ضد عروج⁽⁴³⁾، حيث اتسم موقف سلاطين تلمسان بالمراوغة، حيث كانوا يتحالفون مع عروج تارة ومع الإسبان تارة أخرى، وكانوا يأخذون رهائن مقابل ولائهم. وكان أسلوب المرأوغة هذا من أجل المال

والسلطة، مما أدى إلى تضرر خير الدين وعروج الذي كان يحارب الإِسبان والملوكالزيبانيين معا⁽⁴⁴⁾.

تعاظمت الفتنة إلى درجة أنها حملت أبا زيان على إعلان تمرده على عروج، واستعانتة هو الآخر بالإِسبان. لكن عروج اكتشف أمره وقضى عليه وعلى أنصاره، حيث أعدم حوالي 70 أسرة من بني زيان في خزان ماء بالقصر⁽⁴⁵⁾. وبعد قتل أبي زيان، أعاد الإِسبان دعم الملك المخلوع للوقوف في وجه عروج في تلمسان، حيث أمدوه بقوة عسكرية قوامها عشرة آلاف عسكري من الجيش الإِسباني، إضافة إلى أنصارهالموالين له، واتجهوا إلى قلعة بني راشد واستولوا عليها وقضوا على قائدها إسحاق بن يعقوب⁽⁴⁶⁾.

لم يكتف أبو حمو الثالث بالقضاء على إسحاق في قلعة بني راشد، بل واصل زحفه نحو مدينة تلمسان التي حاصرها حصارا شديدا. وقد ساعده جماعة من أنصار الزيبانيين الذين تحالفوا أيضا مع الإِسبان⁽⁴⁷⁾، لكن عروج صمم على المقاومة مؤملا بنجدة من فاس وصمد هو ومن معه من الجند لمدة ستة أشهر⁽⁴⁸⁾. وبعد انتظار طويل، بدأت المؤن تنفد، قرر عروج الخروج والانسحاب من تلمسان، مع جماعة من جنده ونجح في اختراق صفوف الإِسبان نحو الساحل، حيث كان يأمل وصول سفن أخيه خيرالدين. ولما علم الإِسبان بهربه أرسلوا قوة لمطاردته. وقد حاول عروج تأخير المطاردين بنشره كنوز آل زيان، التي أخذها معه على الطريق لتشتيت جنود الإِسبان⁽⁴⁹⁾، لكن الإِسبان لحقوا به وحاصروه في قلعة قديمة، وبعد معركة ضارية حارب فيها عروج ببسالة قتل مع جميع أنصاره عام 1518م⁽⁵⁰⁾، في مكان ريو

دوسالادو "واد الملح" على يد الضابط الإسباني قراسيادوتينو، الذي أخذ رأس عروج ومعطفه وسلمهما إلى حاكم وهران، الذي سلمها بدوره إلى دير القديس جيروم في قرطبة، حيث زين بها حائط بهو التعبد والذي ظل يعرف لزمن طويل ببهو بربروسا *la capilliberbaroussa* لعبادة المسيح⁽⁵¹⁾. وكان عروج حين قتل يبلغ من العمر أربعة وأربعين عاما. وقد مات مأسوفا عليه من كل الذين خدموا تحت إمرته⁽⁵²⁾. وقد قال دوقرامون عن عروج "... وهكذا مات مؤسس مملكة الجزائر وعمره أربعة وأربعين ولم يترك خلفا..."، ويرى بعض المؤرخين أنه كان مجرد رئيس عصابة لصوص، وليس هناك في الحقيقة رأي من هذا. إذ كان من أبطال الإسلام، فشن في البحر حروبا دون شفقة ولا رحمة على أعداء دينه وسلطانه، وكانت غزواته في بداية أمره ناجحة في الأقاليم العربية، ومكنته من التغلب على غزوات العدو، لولا خيانة حلفائه التي أدت إلى سقوطه⁽⁵³⁾. وهكذا فشلت هذه المحاولة التي قام بها فرد مغامر محسوب على الدولة العثمانية مستغلا الدعوة إلى الجهاد ومستقيدا من ضعف الأمراء التقليديين وسخط السكان على تعاونهم مع الغزاة النصارى⁽⁵⁴⁾.

بعد استشهاد عروج، قرر الجند وأعيان مدينة الجزائر مبايعة خير الدين بالإجماع خلفا لأخيه، ولكنه وجد نفسه في موقف صعب للغاية، وذلك لنقص القيادات وتخلي بعض المتحالفين عنه، إضافة إلى خشيته من ثورة المناطق المجاورة لمدينة الجزائر، وتمرد بعض القبائل مثل قبيلة سالم التومي التي كانت تنتظر الفرصة للثورة ضده⁽⁵⁵⁾، فوضع خير الدين ثلاثة احتمالات:

❖ الاحتمال الأول العودة إلى جيجل والانطلاق في العمل البحري من جديد.

❖ الاحتمال الثاني العودة إلى مقر خلافة الباب العالي وأن يضع نفسه في خدمة الخليفة.

❖ الاحتمال الثالث البقاء ومواصلة الكفاح⁽⁵⁶⁾.

وقد استقر رأيه على الاحتمال الثاني فذهب إلى مقر الخلافة، وخاطب الأعيان قائلًا: " الآن لم يبق لي شيء أفعله من أجل إسعاد مدينتكم، لقد قررت أن أغادركم وأترك إلى جانبكم فرقة كافية من المحاربين الأبطال، الذين سيعملون من أجل أن يحترم اسم الجزائر... عندكم أسلحة، والسفن، والذخائر من أجل أن تقوموا بمحاولات جديدة... حين وصلت إليكم لم يوجد ولا مدفع واحد، والآن بفضل الله لديكم أكثر من 400 مدفع. حينما تجدون أنفسكم أمام ضائقة وتبرز أمامكم محاللات صعبة وخطيرة استشيروا الفقهاء، وهاذين القائدين: أحمد بن القاضي قائد المنطقة الشرقية، ومحمد بن علي قائد المنطقة الغربية وبعون الله سنتغلبون على كل العراقيل"⁽⁵⁷⁾.

لكن أعيان مدينة الجزائر وكبارها ألحوا عليه بالبقاء في المدينة، فيقول صاحب كتاب الغزوات في هذا الصدد: " فقالوا له أيها الأمير لا تطيب أنفسنا بفراقك، ولن نسمح لك بذلك فإن الله تعالى قد نصرنا بك على العدو وحصل في قلوبهم الرعب منك... وجعلوا يتضرعون بين يديه ويظهرون التآلف على فراقه..."⁽⁵⁸⁾.

4- إلتحاق الجزائر بالدولة العثمانية:

عرض خير لدين فكرة إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، وإدخالها ضمن أملاكها حتى تكتسب نوعا من الحماية الدولية ويجد هو الحماية والسيطرة على المتمردين⁽⁵⁹⁾، وهذه الفكرة تدل على ذكاء خير الدين وبعد نظره، حيث ادرك أنه مع تصاعد الخطر الإسباني، فإن الدولة العثمانية هي الدولة الوحيدة القادرة على دعمه، فاستحسن كبار المدينة الفكرة وأرسل خيرالدين رسالة باسم الأعيان والفقهاء والأئمة والتجار وكافة سكان مدينة الجزائر⁽⁶⁰⁾، مع وفد برئاسة أبي العباس أحمد بن القاضي الذي اشتهر بجهاده ضد الإسبان لتصور أوضاع المسلمين المتردية في الجزائر، وعرض أبعاد القضية عليه ومطالبته بربط مصير الجزائر السياسي بالدولة العثمانية، وخصوصا أن النزاع بين القبائل أدى إلى توغل الإسبان في السواحل الجزائرية⁽⁶¹⁾.

كما أن استعانة أهالي الجزائر بالدولة العثمانية، وفرض الولاء والطاعة للسلطان العثماني في استانبول. كان له مغزى كبير، وهو أن خيرالدين أدرك بحنكته السياسية واستراتيجيته العسكرية في تدبير شؤونه في قيادة العمليات، وخوضه حربا مع قوى كبيرة، ذات سلطة واسعة كإسبانيا والبرتغال. وكان بحاجة إلى حليف قوي بغية التصدي لهذه الأخطار التي تهدده، وبالطبع كانت الخلافة العثمانية هي القوة الإسلامية المرشحة لهذا التحالف.

كانت الرسالة التي بعث بها أهالي الجزائر إلى السلطان العثماني، مؤرخة في أوائل ذي القعدة سنة 952هـ بين 26 أكتوبر ونوفمبر 1519م⁽⁶²⁾، ومما جاء في الرسالة "إننا ندعوا بالسعادة والنصر لمقام السلطنة العليا دعاء يبلغها أقصى الأمانى، فإن عبيدها بالجزائر

يكتبون إلى مقامها العالي، معبرين ومعترفين لمقامكم العالي بالإجلال والتعظيم، وأن رسالتنا هذه لا تستطيع أن تستعرض كل الأسرار... لقد جرت حوادث جليلة ولها أخبار طويلة في نصر المؤمنين وهزيمة أعداء السنة، ومفادها أن طائفة الطاغية لما استولت على بلاد دلس انتقلوا منها إلى قلعة وهران، للاعتداء على سائر البلاد، غير أنهم بعد استيلائهم على بجاية وطرابلس، بقيت الجزائر كالنقطة وسط الدائرة وبقينا كذلك حيارى... وقد نظرنا في الأمر ورأينا أن المحن والشدائد تشتد وأن الضرورة تقتضي بحقن دماء أنفسنا، وخوفا على حريمتنا وأموالنا وأولادنا من السبي والتفريق، تصالحنا مع التتليث وإنا لله وإنا إليه راجعون" (63).

كان السلطان العثماني سليم الأول (1520-1512م) مقيما في القاهرة بعد فتحها لتنظيم البلاد، وقابل الوفد وأجابهم على سؤالهم وأعلمهم بموافقتهم على أن يشمل دولة الجزائر، وأن تكون مشتركة مع الدولة العثمانية في الجهاد ضد المسيحية (64).

أرسل إلى خيرالدين فرمانا سلطانيا منحه لقب الباشا، وعينه حاكما على الجزائر برتبة "بكلريك" أي أمير الأمراء وهو أعظم ألقاب الدولة، كما أرسل إليه ألفين من الجنود الانكشاريين وبعض الأسلحة والذخائر، وسمح له بجمع ما شاء من المتطوعين الراغبين في الانضمام إلى صفوف المجاهدين، يضاف إلى ذلك أنه أعطى خيرالدين لقب "قبودان" وهو رتبة عسكرية تمكنه من قيادة الأساطيل العثمانية، وتمنحه العديد من الاختصاصات العسكرية التي تجعله قائدا أعلى للقوات المسلحة في بلاده (65).

ونتيجة لذلك دخلت الجزائر رسميا تحت السيادة العثمانية سنة 1519م، وتحصل بربروسا على القوات اللازمة لصد الهجوم على الجزائر، وجعلها مركزا عثمانيا لمجابهة الإسبان، وقاعدة لتوسيع رقعة الحكم العثماني في شتى أنحاء بلاد العرب. وإلى جانب ذلك، فقد نودي على منابر مساجدها باسم السلطان العثماني، وصارت العملة تصك باسمه.

بعد دخول الجزائر تحت سلطة العثمانيين بمبادرة من خيرالدين، اعتبرت ولادة متميزة، وأصبحت قاعدة لتوسيع الحكم العثماني في كافة بلدان المغرب العربي. وقد شهدت عدة تحولات خلال الحكم العثماني لها، وذلك حسب أوامر السلطة العليا التي كانت تمثلها.

الهوامش:

- (1) المغرب الأوسط: أطلق اسم المغرب الأوسط على المناطق الواقعة بين تونس والمغرب الأقصى، وحددت ما بين ملوية غربا إلى عنابة شرقا. أنظر: المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني "العملة، الأسعار والمداخيل"، ج1، دار القصبية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص10.
- (2) صالح عباد، الجزائر خلال العهد التركي (1514-1830)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص7.
- (3) شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، ترجمة. محمد مزالي وبشير بن سلامة، ج2، ط2، دار النشر التونسية، تونس، 1983، ص ص 319 ، 321.
- (4) الحسن بن محمد الوزان الفارسي، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983، ص321.
- (5) عباد، المرجع السابق، ص31.
- (6) لسان الدين الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد الله عنان، ج1، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974، صص107-108.
- (7) ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج2، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1977، ص121.

- (8) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص189.
- (9) محمد بن محمد الأندلسي، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تح، الحبيب هيلة، ج2، دار الكتب التونسية للنشر والتوزيع، تونس 1974، ص131.
- (10) محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم المهدي بوعليلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص24.
- (11) محفوظ قداش، الجزائر في العهد التركي، مجلة الأصاله، العدد52، مطبعة البعث، الجزائر، ديسمبر 1977، ص4.
- (12) إمارات صغيرة كإمارة جبل كوكو بزواوة، والإمارة الحفصية بقسنطينة وإمارة الدواودة بالحضنة والزاب، وإمارة بني جلاب بتقوت ووادي ريغ، وإمارة الثعالبة بجزائر بني مزغنة ومتيجة، لمزيد من المعلومات أنظر: أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا "1492-1792م"، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص ص93-95.
- (13) مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1930، ج2، ط2، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص61.
- (14) عثمان الكعاك، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003، ص 292.
- (15) يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص8،
- (16) شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (تونس، الجزائر، طرابلس، المغرب الأقصى)، ط1، المكتبة الانجلو الأمريكية، مصر، 1977، ص.
- (17) يعود أصلهم إلى جزيرة متيلان، لسبوس قديما وتقع مقابل الساحل الإيحي لتركيا، وأكبرهم أبو يوسف عروج، ثم يليه إلياس وإسحاق وخيضر الذي أطلق عليه إسم خير الدين، أي هدية الله، اما أبوهم كان يشتغل قرصانا مسلما، يقال أنه اشتغل كذلك في الجيش برتبة عريف أول، وبعد تقاعده ذهب إلى الجزيرة وأصبح خزافا، أما بالنسبة لأهمهم فهي ابنة أحد الرهبان الإغريق، وهناك من أرجع أصلها إلى الأندلس، حيث أسرها يعقوب وتزوج بها. أنظر: وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تر، عبد القادر زيادية، دار القصبه، الجزائر 2006، ص ص37-38.
- (18) صلاح العقاد، المغرب العربي دراسة في تاريخه الحديث وأوضاعه المعاصرة "الجزائر، تونس، المغرب الأقصى"، ط5، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 1985، ص18.
- (19) مجهول، غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1934، ص 13.

- (20) نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العصر التركي، ط 2، دار الحضارة، الجزائر، 2006، ص 21-47.
- (21) الجمل، المرجع السابق، ص 24.
- (22) بوعزيز، المرجع السابق، ص 11.
- (23) الجمل، المرجع السابق، ص 24.
- (24) عبد القادر، المرجع السابق، ص 46.
- (25) الجمل، المرجع السابق، ص 25.
- (26) بومهلتوتاتي، الجزائر "الثغر الأبيض"، مراجعة تاريخية، أحسن بومالي، دار المعرفة للطبع والنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 113.
- (27) De Grammont, **Histoire d'Alger sous la domination turque 1515-1830**, Ed peroux, 1887, p.20.
- (28) مجهول، المصدر السابق، ص 18.
- (29) المدني، المرجع السابق، ص 166.
- (30) مجهول، المصدر السابق، ص 26.
- (31) يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص 12. ⁽¹⁾ ابن ابي الضياف، احتاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج 3، الدار التونسية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص 170.
- (32) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي "1500 - 1830"، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ص 460.
- (33) Diogo De Haedo, **Histoire des Rois d'Alger**, trd, H.D. Grammont, ed grand-Alger-livres, 2004, p. 22.
- (34) بوعزيز، المرجع السابق، ص 10.
- (35) E.Mercier, Histoire de l'Afrique septentrionale, vol3, Paris, 1891, p.17.
- (36) Edward Cat, petite Histoire de l'Algerie, tome1, Adolph Jourdan, Alger, 1888 p. 25.
- (37) المدني، المرجع السابق، ص 175.
- (38) سبنسر، المرجع السابق، ص 40 - 41.
- (39) عبد الله العروي، مجمل تاريخ المغرب من الغزو الإيبيري إلى الاحتلال، ط 1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1999، ص 45.
- (40) وليام شالر، مذكرات وليام شالر "قنصل أمريكا في الجزائر 1816 - 1824م"، تر. إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 40.

- (41) محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص. ص. 229 - 230.
- (42) يحي بوعزيز، وهران عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص 69.
- (43) الطمار، المرجع السابق، ص 230.
- (44) H.D.DE Grammont, « *Qu'est le lieu de la mort d'AroudjBarbarousse* », R.A. N° 22 ,1878 ,p p. 391-392.
- (45) Mercier, op cit., p.211.
- (46) المدني، المرجع السابق، ص ص 189-190.
- (47) أجدو علي، محاضرات في تاريخ ومؤسسات الدولة الجزائرية 1514-1837م "المغرب الأوسط من مجتمع القبيلة إلى مجتمع الدولة الأمة"، ط2، باتنتيت للمعلوماتية والخدمات المكتبية، الجزائر، 2001، ص ص 27-28.
- (48) سينسر، المرجع السابق، ص 43.
- (49) أجدو، المرجع السابق، ص 29.
- (50) DE Grammont ,*Histoire d'Alger...*, p.25.
- (51) سينسر، المرجع السابق، ص 43.
- (52) الجمل، المرجع السابق، ص 27.
- (53) DE Grammont ,*Histoire d'Alger...*, p.26.
- (54) العروي، المرجع السابق، ص 45.
- (55) (Clandine) Roland et Jean didieu Gros, **Moi barbarous pirate et roi de barbarie**, casterman, collection Bruxelles, 1984, p.201.
- (56) (Emest),Watbled« *Etablissement de la domination Turque en Algerie* »,R.A,N°17, 1873, pp.35 2,387.
- (57) صالح خليل، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الأوسط، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة، 2007، ص 106.
- (58) مجهول، المصدر السابق، ص 41.
- (59) شالر، المصدر السابق، ص ص 40-41.
- (60) عبد الجليل التميمي، أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519، المجلة التاريخية، ع6، تونس، جويلية 1976، ص 116.
- (61) عبد المنعم الجميبي، الدولة العثمانية والمغرب العربي، الموسوعة الثقافية التاريخية والحضارية " التاريخ الحديث"، المجلد 12، دار الفكر العربي للطبع والنشر ، القاهرة ، 2002، ص 5.

- (62) سفيان صغيري، العلاقات الجزائرية العثمانية خلال عهد الدايات في الجزائر (1671-1830)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة باتنة، 2012، ص 123.
- (63) التميمي، المرجع السابق، صص 116 ، 120؛ للمزيد أنظر الملحق رقم: 04، ص203.
- (64) (V)Lustky, **Modern History of the Arab countries, progress publishers**, Moscou, 1969, pp.167 – 168
- (65) الجميعي، المرجع السابق، ص ص 6-7.
- (66) SakinaMissoum, **Alger à l'époque Ottomane de la médina et la maison.traditionnelle**, I.N.A.S, Alger, 2003,p. 34.

